

٢٠٠٤/٧/١٤

التفكير المنطقي

وحدة: المغالطة

١ - تمكنا حتى الآن من التمييز شكلاً بين الحججة السليمة (حيث تكون العلاقة بين المقدمة والنتيجة صادقة أو مقبولة بغض النظر عن صدق أجزائها) والحججة غير السليمة (أكانت ممكنة أو غير ممكنة). لكن كثيراً من الأمثلة التي نواجهها هي حججة تطرح على أساس أن مقدمتها بالتأكيد صادقة، وأن النتيجة هي بالتالي كذلك، أي أنه يطلب منا التصديق بنتيجتها بناءً على تصديقنا لمقدمتها. والحججة السليمة التي تطرح عينياً كذلك، أي كمثال معين، تسمى حججة صحيحة، والحججة الصحيحة هنا ليست مجرد شكل لحجة، وإنما هي حجة معينة، وعلى ذلك فإن مضمونها هو المعيار في التقييم وليس شكلها وأياً كانت الحججة موضع الكلام، فهي جميعاً استنتاجية، بمعنى أن الافتراض الضمني فيها جميعاً هو أن النتيجة تلزم بالضرورة عن المقدمة وهي تتميز بالتالي عن الحججة الاستقرائية، حيث تكون العلاقة بين المقدمة والنتيجة احتمالية، بقدر ما أو أكثر، فكثير من الحجج التي تطرح عندما لا تتوفر لدينا كافة المعطيات والمعلومات اللازمة لتؤكد صحة الاستنتاج.

ولو كان عالم المخاطبة والجدل بين المناظرين والمتحاورين يلتزم بالقواعد الدقيقة في الاستنباطات (الاستنتاجية منها والاستقرائية) لتفادينا الكثير من الأخطاء والمهاترات، ولكننا قادرين على تطبيق هذه القواعد والأنظمة بشكل حسابي لتبين الصالح من الطالح من الحجج التي يتداولها الناس، لكن مهارة الإقناع في الجدل والحوار التي طورها الإنسان عبر التاريخ امتدت واتسعت لتشمل وسائل وأساليب وفنون أقرب للخدعة والحيلة منها لأنظمة العقل والمنطق، وأصبحت جزءاً من عالم المخاطبة والجدل كالحجج العقلية، إذ تنمو وتتشبه بما، فتتطلي على المستمع ويقنع بما.

ولقد اتبه علماء المنطق تاريخياً لهذه المغالطات في استعمالات الحجج، فبدوا في دراستها ومحاولة تصنيفها، وذلك بهدف التذليل على مواقع الخطأ فيها، والتنبيه إلى ضرورة الاحتراس من الانخداع بما. ولكن وقبل أن نأتي على هذه الأصناف، دعنا نورد أمثلة عامة للحججة الصحيحة والمغالطة.

المغالطة تحاول أن توهم المستمع أنها صحيحة *****

٢ - نعود بدءاً إلى تعريفنا للحججة الصحيحة، إذ هي والأساس تلك التي تشبه بما الحجج الخادعة، أو المغالطات. فالحججة الصحيحة هي التي تطرح على أساس أن قبولنا بالمقدمة أو صدقها لا يفتح مجالاً أمامنا إلا للقبول بالنتيجة، وإقرارنا بصدقها. والمغالطة أيضاً تشبه لأول وهلة بهذه الصفة، لكن التاميق والتحصيص يبين لنا أن هذه الصفة منزوعة عنها.

مثال (الحججة الصحيحة)

= إنني متأكد بأنه لم يعد من السفر بعد، وأنه لا زال في أوروبا. م

- ولكن، هل قرأت الخبر في جريدة هذا الصباح والذي أشار إلى الاجتماع الذي عقده في غزوة ليلة أمس؟

= نعم، قرأته، قال الخبر أنه عند جلسة طارئة للجنة المفاوضات في مقره في غزوة.

- وهل تعتقد أن هذا الخبر صحيح، أم أنه ملفق؟

= لا، لا أرى سبباً للشك في صحة الخبر.

- كيف يمكنك إذن التوفيق بين ما هو مؤكد لك وبين هذا الخبر؟ فإنك إذا صدقت بأنه فعلاً قد عقد اجتماعاً ليلة أمس، فلا بدّ لك من أن تصدّق بأنه قد عاد من السفر (ولا أنفي أنه قد يكون قد سافر بعد ذلك).

الحجة

"بما أنه عقد اجتماعاً ليلة أمس، فلا بدّ من أنه قد عاد من السفر"

التفسير

العلاقة بين التصديق بالمقدمة والتصديق بالنتيجة هي علاقة سببية واضحة، أي أن سبب صدق النتيجة أو التصديق بما هو صدق المقدمة أو التصديق بما.

مثال (المغالطة)

= أريد أن أبرهن لك على أن هذه السلحفاة ليس بمقدورها قطع المسافة بين موضعها هنا (أ) وذلك الموضوع (ب).

- ألاهما بطيئة أو أنما لن تستمر بالاتجاه من (أ) إلى (ب)؟

= لا، الأمر منطقي وجوهري، ولا علاقة له بعوامل ثانوية.

- كيف ذلك إذن؟

= هل تشاطرن الرأي أولاً بأن العالم يتجزأ إلى أجزاء لا متناهية؟

- بالطبع، فلقد أثبت الفلاسفة والعلماء هذه الحقيقة بشكل غير قابل للرد.

= وهل توافقني الرأي بأن السلحفاة، إذا ما أرادت أن تقطع المسافة بين (أ) و (ب) فهي مضطرة لقطع نصف تلك المسافة أولاً؟

= هذا أمر بديهي، فإنه لا يمكن لي أن أصل بين نقطتين دون أن أصل نقطة هي منتصفهما.

= فإذا كان كذلك، فالسلحفاة مضطرة، قبل الوصول من (أ) إلى (ب)، أن تصل إلى (ب/٢).

- نعم

= ولكن، أليست مضطرة كذلك، وقبل أن تصل إلى (ب/٢)، أن تصل إلى نصف تلك المسافة أولاً، أي

(ب/٤)؟

- يبدو كذلك، نعم.

= تبدو متردداً. هل هو الأمر كذلك، أم يبدو كذلك فقط؟

- لا، لا، هو كذلك فعلاً.

= ثم وأليست هي مضطرة، قبل أن تصل إلى (٤/ب)، أن تصل إلى (٨/ب)؟

- نعم

= ولكنها لن تصل إلى (٨/ب) قبل أن تصل إلى (٦/ب)، ولن تصل إلى هذه النقطة قبل أن تتجاوز (٣٢/ب)، وهكذا توالياً، وحيث أن المسافات تتجراً إلى مالا نهاية، فإنها لن تصل إلى غايتها أبداً.

المغالطة: "بما أن المسافة بيني وبينك لا متناهية، فإنني لن أتمكن من عبورها بشكل متناه".

التفسير: هنالك تلاعب مخفي بالمعاني، إذ إن المتكلم أقرّ ضمناً بوجود الجسم المتناهي وهو الساحفة (بمعنى ما) في حيز لا متناهي (بمعنى آخر)، ثم هو أسقط المعنى الأول كلياً عندما بدأ في توصيف حركة ذلك الجسم.

٣ - قسم المناطق تقليدياً المغالطات قسمين أساسيين، هما مغالطات الصلة ومغالطات المعاني أو التشابه، ودلّوا على وجود أصناف مختلفة تقع تحت هذين القسمين.

أ- مغالطات الصلة

١ - التهديد الضمني: "بما أنك تعرف مصلحتك جيداً، فإنك تعرف بأن لا تخالفه الرأي بالاجتماع" حيث أن الإقناع باتخاذ وجهة نظر أو رأي مرهون بحسابات لا علاقة لها بمضمون ذلك الرأي.

٢ - العامل الشخصي: "لا ادعي أصلاً للنظر في ما يقوله، فنحن نعلم جيداً من يكون، ونعلم جيداً تاريخه الحزبي وعلاقاته المشبوهة وأفعاله المشينة"، حيث أن الإقناع بعدم دراسة فحوى القول يعتمد التشهير بقائله.

٣ - الوضع الشخصي: "بما أنك تنتمي إلى حركة فتح، فيجب عليك القبول باتفاقيات أوسلو"، حيث أن الإقناع لا صلة له بمضمون الاتفاقيات وإنما بالانتماء الحزبي. أو "إن نظرتك بخصوص مساواة المرأة فاسدة لأنه أصلاً شيوعي"، حيث أن رفض المقولة بخصوص المساواة أرقن سلبياً بوضع حزبي للقتال.

٤ - البناء على الجهل: "إن الأزمة المالية في الجامعة مزمنة، إذ قد باءت كافة المحاولات لمآلها بالفشل"، أو "لم نجد أي دليل على دخول الغرفة، وبالتالي فإنه بالقطع لم يدخلها أحد" حيث الخلط بين عدم الاكتشاف واكتشاف العدم.

٥ - الاستعطاف/ العاطفة الجماهيرية

"كيف يمكن لهذا الإنسان اليتيم، النقي، الضعيف أن يكون هو الذي يخطط لهذه الجريمة النكراء"؟ أو "كيف لنا أن نقبل بهذه الاتفاقية التي ترفضها جماهيرنا وتستصرخنا بأن نبذها؟"

حيث أن حالة الإنسان التي تستدعي العطف لا تلغي التهمة، وحيث أن الموقف الجماهيري لا يلغى مضمون الاتفاقية، والتي إن كانت سيئة أو جيدة فتكون كذلك لأسباب في ذاتها، وليس لمواقف الناس منها.

٦- تخصيص العام/تعميم الخاص

"عليك بالأسيرين عند وجع الرأس، فهو جيد"

أو

"إياك السفر إلى اليونان، فكل شعبها لصوص ومخادعين"

٧- تحصيل الحاصل

"لا يضاهيه أحد بشيء، فهو عظيم وذكي وبارع ..."

٨- السببية

"ليس أدنى شك بأنه هو الذي يقف وراء هذه الأحداث التي لم تبدأ وتبرز إلا بعد قدومه"

وتتشارك كافة هذه المغالطات بكونها وان كانت مطروحة على أن التصديق بنتائجها مرهون بالتصديق بمقدمتها إلا أن لا صلة بالحقيقة بين الأمرين في أغلب الأمثلة، ولا يوجد أمران أصلاً في إحداها.

ب- مغالطات المعاني أو التشابه

١- التشابه: "بما أن الفلسطينيين عاطفيون والعاظميون لا يفكرون جيداً فإن الفلسطينيين لا يفكرون جيداً".

أو

"بما أنه قد أثبت مهارته كباحث فإنه لا شك سوف يثبت مهارته كأستاذ"

حيث معنى "عاطفيون" و"مهاراة" يختلف من قول إلى آخر، ولكن استعمال نفس المصطلح في الحالتين قد يخفي ذلك.

٢- التأليف:

"بما أن جميع أجزائه خفيفة، فهو بالضرورة كذلك"

أو

"بما أن كلاً منهم إداري ناجح، فافهم يكوّنون مجموعة إدارية ناجحة".



٣- التجريد:

"بما أنه بين، فجزؤه هذا كذلك"

أو

"بما أنه فريق فائق المهارة، فعضوه هذا يجب أن يكون كذلك".

(وانتبه للتمييز بين التأليف والتجريد من جهة، وتعميم الخاص، وتخصيص العام من جهة أخرى).